في بدنها من اجتماعها بهذه الذرات وتتولد فيها الخيوط تشار اليها آنفاً وتنتقل منها الى انسان سليم تلسعهُ وهلم جرًّا وقد تنتقل الى الطيور كما تنتقل الى البشر

هذا ما يدعيهُ الذبان والبعوض من نقل الامراض والفضل في تحقيق ذلك للعلماء الاوربيين والاميركيين لانهم لم يكتفوا بالآراء والظنون بل جاؤا الى البحث والامتحان وسافروا الى اقاصي المسكونة لهذه الغاية

المقامرة ومضارُّها

لا مشاحة ان سوق القمار قد راجت في هذا القطر والقطر الشامي منذ عهد قريب رواجاً لا مثيل لهُ في العصور الغابرة وتباينت درجاتهُ حتى يسهل على كل احد الاشتراك فيهِ من الامراء والاغنياء الى السوقة وابناء الازقة . وتعدَّدت اساليبهُ حتى دخل فيها ما لا يُظَن انهُ من القمار في شيء كالرهان والنصيب اللذين يكتسب بهما المرء مالاً لم يتعب لهُ ويخسر غيرهُ اموالاً لم يعوَّض عنها شيئاً ولذلك رأيت ان اجمع السطور التالية مما كتبهُ نخبة الكتَّاب في هذا الموضوع وجعلت اكثر اعتمادي فيها على كتابين لستفيلد وستيفنز وعلى مظان اخرى عربية وانكليزية فاقول

مَن تصفح تاريخ الشعوب الأُوَل رأى ان المقامرة كانت رائجة عندهم فمنهم مَن استحسنها ولم يحسب منها ضرراً ومنهم مَن ذمَّها وقبَّح نتائجها . فذمتها الشريعة الهندية القديمة وهي من اقدم شرائع الامم . وذكر المؤرخون ان الصينيين كانوا يقامرون منذ الوف من السنين وان اللعب بالورق كان منتشراً عندهم وان الاوربيين اخذوهُ عنهم . وروى المؤرخ هيرودوتس كلاماً عن كهنة مصر جاء فيهِ ان احد ملوكهم قامر الشيطان في الجحيم . وجاء في التوراة ان شاول انتُخب بالقرعة ملكاً على بني اسرائيل وان يونان حين جنحت السفينة بهِ وبالذين معهُ " ساهم القوم ايُّهم يلقى في البحر فكان من المدحرجين اي من المقمورين " . والقرعة والسهام من المقامرة كما لا يخفى . وذاعت المقامرة في عهد اليونانيين القدماء بدليل قول هوميروس الشاعر عن عشاق بنلوب امرأة عولوس انهم كانوا يلعبون بالداما وقولهِ ايضاً عن بتروكلس الذي قتلهُ هكتور انهُ كان يلعب بالنرد . وذمَّ ارسطوطاليس الفيلسوف المقامرة وانزل المقامر منزلة اللص السارق . وقال كلسترات الخطيب اليوناني ان المقامرة التي يضاعف المقامرون الرهن فيها تشبه المعارك المتوالية التي لا تنتهي إلاَّ بانقراض المتحاربين

وشاع القمار عند الرومانيين القدماء حتى عمَّ الخاصة والعامة فكان الملك والكبراء يقامرون نهارًا وليلاً . وقد لُقِّب أغسطس قيصر بالمقامر وألَّف الامبراطور كلوديوس كتابًا في المقامرة وكان شديد الغرام بها حتى خالهُ سنكا الحكيم محكومًا عليهِ بان يلعب الزهر في الجحيم بقدح بلا كعب . وبقي القمار شائعًا في رومية الى ان استوى يوستنيانوس على عرش الملك فمنعهُ منعًا باتًّا وجعل لقب المقامر مرادفًا للالقاب الدنيئة

وكان القمار معروفًا عند العرب واطلقوا عليهِ اسم الميسر وادواتهُ الازلام والقداح والاقلام فامر القرآن الشريف باجتنابهِ في قولهِ " انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوهُ " . وقولهِ " يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس " . وكان العرب يعدون الشطرنج من القمار . قيل سُئل ابو العباس بن شريح عن الشطرنج فقال في لاعبيهِ اذا سلمت ايديهما من الطغيان ولسانهما من العدوان وصلواتهما من النسيان فهو مباح بين الاخوان غير محرَّم على الخلاَّن . وسئل الحسن رضي الله عنهُ فقال لا بأس بهِ ما لم يكن قمارًا فانهُ احتيال (رواهما صاحب محاضرات الادباء) . غير ان القول باستحسانهِ قليل . وقال احد الشعراء في ذمهِ

لعب الشطرنج شومُ فاجتنبها يا مشومُ
انما عدتْ لقوم شأنهم شأنٌ عظيمُ
ملكٌ يجبى اليهِ او وزير او نديمُ
هلكتْ فيها العرب الـ سر فماذا يا حكيمُ

وجاء في محاضرات الادباء ان اهل المدينة كانوا اذا خطب اليهم من يلعب الشطرنج لم يزوِّجوهُ ويزعمون انهُ احدى الفرتنين

وكان الميسر معروفًا عند العرب شائعًا بينهم فياتون بجزور يقطعونهُ عشرة اجزاء ثم يؤتى بالقداح وهي عشرة سهام سبعة منها ذات خطوط وقد نظم اسماءها الصاحب في قولهِ

ان القداح امرها عجيب الفذُّ والتوأم والرقيبُ
والحلس ثم النافس المصيبُ والمصفح المثير العجيبُ
ثم المعلَّى خطها الرغيب هاك فقد جاد بها الترتيب

توضع في خريطة وتخلط معًا فيضرب كل من المقادحين سهمًا فيأخذ نصيبهُ من الجزور

وانتشر القمار في اوربا قبيل القرن الرابع عشر انتشارًا عظيمًا حتى حاول الفونسو دي كستيل استئصال شأفتهِ من بلادهِ فانشأ رتبة شرف يمنع متقلدوها من المقامرة وتابعهُ يوحنا

دي كستيل على ذلك فاصدر امرًا عاليًا بمنعه

اما في فرنسا فقد كان انتشار القمار عظيمًا وفشا حتى اتخذه ملوكها موردًا لهم واقتدى عامة الشعب بهم . فخسر كارلس السادس خمسة الاف جنيه في ليلة واحدة . ويقال ان لعب الورق دخل اوربا في ايامه ولكن لا دليل على ذلك . وكان الملك هنريكس الثالث مولعًا به ولعًا شديدًا مع انهُ كان همامًا مقدامًا في سائر اعماله فحط به من رفيع مجده الى منزلة حقَّرته في عين رعيته . وزاد البلاط الملكي خللاً في ايام لويس الرابع عشر ففشت المقامرة فيه وانتقلت منهُ الى نوادي الشعب على اختلاف طبقاتهم " والناس على دين ملوكهم " . وكان وزيرهُ مزارين من اكبر المقامرين حتى انهُ لما اضطرَّ الى الفرار من باريس ايام الثورة الاولى (الفروند) كان يقامر مع جماعته وخدمهُ يرزمون امتعتهُ ويحزمونها . وقيل انهُ بقي يقامر حتى آخر ساعة من حياته . وقد صوَّرهُ دلاروس وهو يحثُّ رفاقهُ على اللعب وكانت قواهُ قد انحطت الى درجة لم يستطع فيها حراكًا . وقيل انهُ لما سُجن الوزراء كوندي وكونتي ولونكفيل في سجن البستيل احيوا ليلتهم بالمقامرة . وان دوقة دي بري خسرت مليونًا وسبع مئة الف فرنك في ليلة واحدة . وكان نبوليون الاول يقامر بالملك كما قال لا بالورق وكان يحتقر كلَّ من اوقعتهُ هذه الخلَّة في شراك عارها . غير انهُ جعل يلعب لعبًا قليلاً حينما نفي الى جزيرة القديسة هيلانة

وشاع القمار في انكلترا منذ عهد قديم ولكنهُ لم يعم في زمن من الازمان كما هو عامٌّ فيها الآن . وزاد اعتناء الانكليز بتأصيل الخيل وتربيتها منذ نحو ثلاث مئة سنة فكثرت ميادين السباق وتبارى المراهنون فيها حتى اضطرَّ الملك تشارلس الثاني ان يمنع المراهنة باكثر من مئة جنيه ومن خسر اكثر من ذلك لا يلزم بالدفع اذا لم يكن قد دفع الرهان سلفًا . ثم نسي امرهُ وراج الرهان حتى بين اعضاء العائلة المالكة وبقي شائعًا مع ما اصدرهُ مجلس النواب من الاوامر لمنعهِ الى ان نصَّب الملك جورج الثالث على العرش البريطاني فامتدَّ رواق المقامرة حينئذٍ وانفسح مداها فشبت مخالبها في الامة الانكليزية كلها وبات القمار حرفةً لكل متدام من رجالها وعقيلة من نسائها . وكان الوزير تشارلس فوكس السياسي الشهير من اكبر المقامرين ابتدأ في المقامرة وهو في الرابعة عشرة من العمر فكان يجيء الليالي بالقمار ويدير شؤون المملكة في النهار ولم يصل الى الثالثة والعشرين من عمره حتى عُيِّن وزيرًا للخزينة وكان مديونًا بمئة واربعين الف جنيه خسرها بالمقامرة فوفاها ابوهُ عنه لكي ينقذهُ من العار . وجدير بهِ ان يفعل ذلك لانهُ هو الذي قادهُ الى هذه الخلة القبيحة وورَّطهُ فيها فقد قيل

انهُ كان يملأُ جيوبهُ ذهباً ويبحث بهِ الى اماكن القمار وهو في الرابعة عشرة من عمرهِ. ولم يقلع عن المقامرة مع ما حازهُ من المناصب العالية. وذهب احد اصدقائهِ يزورهُ بعد ليلة خسر فيها مبلغاً كبيراً من المال فوجدهُ يتصفح تاريخ هيرودوتس غير مبالٍ بالخسارة ولما استغرب منهُ ذلك قال لهُ ماذا تريدني ان افعل بعد ان خسرت كل ما املك

وكان جورج سلون الكاتب الانكليزي الشهير من رفقاء توكس في المقامرة لكنهُ تغلَّب على هذه الخلة في أُخريات ايامهِ وقال فيها رأيت المقامرة مهلكة لاربعة الوقت والصحة والمال والعقل فتركتها

وجمع شتيتز في كتابهِ على المقامرة كثيراً من نوادر المقامرين. قال ان احد اشراف الانكليز خسر ٣٢٠٠٠ جنيه في ليلة واحدة فانتحر على اثرها. وخسر غيرهُ مئة الف جنيه وعقاراً دخلهُ السنوي ١٨٠٠٠ جنيه. وخسر آخر ٢٥٠٠٠٠ جنيه. ورُمي الزهر سنة ١٧٨٠ على ١٨٠٠٠٠ جنيه دفعة واحدة. ولكن هذا الداء اخذ يضعف منذ استولت الملكة فكتوريا على عرش الملك لانها بذلت جهدها في مقاومتهِ فانتقل من انكلترا الى المانيا وزاد زيادة فاحشة في منتزهاتها ومصايفها حتى بلغ ما لم يبلغهُ في غيرها في زمن من الازمان واصبح اسما همبورج وبادن مقرونين بالمقامرة والسرقة والاختلاس. ولكن الحكومة البروسية اهتمت بهذا الامر سنة ١٨٦٨ والغت اماكن القمار فلم يبقَ الآن في اوربا من نوادي المقامرة العمومية سوى القليل اشهرها مونت كارلو ولو لم تحلَّ مدينة كبيرة من الملاعب الصغيرة

اما مونت كارلو فمدينة صغيرة في امارة ما نوكا الى الجنوب الشرقي من فرنسا. والامارة نفسها صغيرة جداً مساحتها ثمانية اميال مربعة وعدد سكانها ١٣٣٠٠ نفس لا غير تحيط بها البلاد الفرنسوية من كل ناحية الاَّ من الجهة الجنوبية حيث تتصل ببحر الروم. ولما خيف من منع المقامرة في همبورج وبادن ذهب بعضهم الى مونت كارلو واتفقوا مع اميرها على بناء ملعب فيها للقمار وتعهدوا بان يدفعوا اليهِ ستين الف جنيه كل سنة وشرعوا في بناء الملعب سنة ١٨٥٩. وهم يدفعون الآن الى وريثهِ سبعين الف جنيه في السنة يتقاضونها كلها من اموال المقامرين فوق ما يربحونهُ منهم. وفريق كبير من المقامرين هناك لا يعبأُ بقليل يخسرهُ او يكسبهُ لوفرة غناهُ ولكن الفريق الاكبر يخسر في يوم او ايام قليلة جنى سنين كثيرة او يكسب مالاً طائلاً يسهل عليهِ التبذير وارتكاب الموبقات. فالنفع قليل خاص ان كان هناك نفع والضرر كثير شامل

وقد شاع القمار في الولايات المتحدة الاميركية واقبل عليهِ الاميركيون اقبالاً عظيماً لان طباعهم أُلفت الكسب الوافر من غير تعب كثير وزاد غنى الاغنياء منهم حتى لم يعد يتعذَّر

عليهم ان يخاطروا بجانب كبير من اموالهم ولكن ليس للمقامرة عندهم تاريخ مخصوص وشأن مذكور كما لها في اوربا

هذا ما امكنني اثباتهُ من تاريخ القمار وانتشارهِ في البلدان المختلفة أما اذا اريد النظر اليهِ من حيث هو والاسباب التي توجب منعهُ فآراء مشاهير الباحثين مختلفة فمنهم من قال بتبعهِ لانهُ وسيلة للكسب بغير عمل موازٍ لهُ . ويعترض على ذلك بان كثيرين يكسبون اموالاً طائلة بابتياعهم اسهماً يرتفع ثمنها كثيراً بعد ابتياعها فان كان اقتران العمل بالكسب واجباً استحال ان يُستخدم المال للكسب ان لم يقترن بعمل صاحبهِ . وقبَّح غيرهم القمار لما فيهِ من المخاطرة المطلقة بالمال . وهذا غير سديد ايضاً لان التاجر الذي يبتاع بضاعة من بلاد ليربح بيعها في بلاد أُخرى يخاطر مخاطرة كبيرة . ولا يخلو فرع من فروع التجارة من المخاطرة المطلقة بل ان الافلاس اقرب الى التجَّار منهُ الى غيرهم . وقد حدَّد بعضهم المقامرة بانها مخاطرة المرء باموال تزيد على ما يسهل عليهِ دفعهُ لو خسرهُ وليس في طاقتهِ ان يتحكَّم في الربح والخسارة . ويقوم ضررها بانهُ اذا قامر اثنان او اكثر فالرابح يربح والخاسر يخسر ولكن لا ينتفع احد آخر من ذلك غير صاحب محل المقامرة . اما التجارة فمهما كان فيها من المضاربة يبقى منها نفع عام لكثيرين . اي ان المقامر يضيع وقتهُ وقواهُ بما لا ينفع احداً . اما ضرر المقامرة فايضاحهُ من اسهل ما يكون لان غرض المقامر الكسب عموماً اما الذين يقامرون قصد التسلية فقليل جداً والغالب ان قصدهم هذا يزول حالما يكسبون او يخسرون فيتوخون الغرض الحقيقي من المقامرة . والمبتدىء فيها يقامر اناساً امهر منهُ وادرى باساليب المقامرة وحيلها وهم يبذلون جهدهم ليربحوا ولما كانوا امهر منهُ كما تقدم فالربح مقدور لهم لا لهُ لانهم اذا فرضنا تساوي الالعبة بينهُ وبينهم كما هو الواجب يبقى لهم امتياز عليهِ بمهارتهم وبعض الحيل التي يستعملونها ولا سيما باساليب الخداع التي لا يخلُّ عنها من جعل المقامرة حرفة لهُ . وهب ان السعد خدمهُ فوقع لهُ الربح اولاً كما يحدث احياناً وكما ينتظر كل مبتدىء في المقامرة كان ربحهُ وبالاً عليهِ لانهُ يتوسَّع حالاً في نفقاتهِ ويعتاد الاسراف . فما دام يكسب يسهل عليهِ الاسراف لكثرة المال في يدهِ واذا خسر بقي على الاسراف لانهُ لا يعود يعبأ بالقليل . واذا خانهُ السعد وخسر لم يعد يستطيع ان يغيِّر اسلوب معيشتهِ الذي اعتادهُ حينما كان يربح . ولا يربح ربحاً ثابتاً من المقامرة الاَّ اصحاب اماكن المقامرة والذين يجعلونها عملاً لهم ويقضون فيها وقتهم كلهُ ويرتضون بحرفة لا تعلو عن السرقة ولا يرتفع قدر اصحابها في عيون الناس عن اللصوص والمختلسين

نجيب صرُّوف